تمهيد.

يعتبر الأمير عبد القادر من الأسماء اللامعة التي ذاع صيتها في الجزائر خاصة، وفي العالم العربي والإسلامي عامة، وحتى في العالم أجمع، فهو مفكر فذّ ورجل سياسي محنك وقائد عسكري شجاع، كانت له اسهامات كبيرة ثقافية وعسكرية وسياسية يكفيه فخراً أنه حارب المستعمر الفرنسي ودمّر الكثير من مخططاته، وأنه مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، فهو رجل الوطنية والنضال يستحق كل التقدير والاحترام، وحري بنا كجزائريين الاهتمام بهذه الشخصية ودراسة فكرها لأنه فكر ملهم بامتياز، لكن نتساءل: **ماهي أهم انجازات الأمير عبد القادر على كافة الأصعدة والمجالات؟ وبما تميّز فكره ؟؟**

1. الأمير عبد القادر: الفكر والشخصية.

ولد الأمير عبد القادر سنة 1808م بمنطقة القيطنة ولاية معسكر من أسرة كريمة شريفة متمسكة بأهداب الدين أسرة علم وجاه وثقافة تعود في أصلها إلى المغرب الأقصى.[1]، ينحدر نسبها إلى النسب الشريف نسب بيت النبوة عليهم السلام فهو من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب عمّ الرسول عليه الصلاة والسلام سليل قبيلة لها سلطة روحية تتمتع بنفوذ واسع واحترام كبير في الغرب الجزائري، عرفت أسرته بكرمها وطيبتها فقد كانت مهتمة بخدمة الزوار وتقديم العون والمساعدة لعابري السبيل، فقد كان محي الدين مضرب المثل لم يعرف له أية حدود لهذا الفيض الغالي.[2]

ولا غرابة في ذلك أن تكون أسرة الأمير عبد القادر كذلك وهي أسرة العلماء الأتقياء الصالحين.

تلقى تعليمه الأولى بمنطقة القيطنة، حيث حفظ القرآن الكريم وتعلم قواعد اللغة ومختلف العلوم الشرعية واللغوية وهو صغير السنّ، كما علّمه أبوه ركوب الخيل والفروسية ومقارعة

[1]– نزار أباظة: الأمير عبد القادر العالم المجاهد ، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1، 1994، ص09.

[2]– شارل هنري شرشل: **حياة الأمير عبد القادر** ، ترجمة: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، ط1، 1974، ص 47.

الأنداد والمشاركة في المسابقات في هذا الشأن، وقد أبدى الأمير تفوقاً كبيراً غير منقطع النظير.

انتقل الأمير إلى وهران ومنها إلى المدية ثم قسنطينة في رحلة طلب العلم والمعرفة، ثم ارتحل بعدها خارج الوطن حيث زار تونس ومصر وبلاد الحجاز وكلها رحلات في سبيل البحث والاستكشاف والتعلّم، ومما عرّف به شغفه في تحصيل العلم، ومما يلاحظ أن تعليمه لم يكن يقتصر على العلوم الشرعية بل وجه اهتمامه إلى العلوم العقلية التجريبية وحتى العلوم العسكرية.[1]

جاء في شهادات المستشرق الانجليزي تشرشل أن الأمير عبد القادر قرأ كتب الفلاسفة كأفلاطون وأرسطو وفيثاغورس، كما تفقّه في التاريخ القديم والحديث منذ عهود الخلافة وبرع في الفلسفة والجغرافيا وحتى الطب.[2]

ومن بين أساتذة الأمير عبد القادر: أبوه سيدي محي الدين، أحمد بن الخوجة، أحمد بن الطاهر البطيوي وغيرهم من العلماء والمشايخ الأفذاذ الذين أخذ الأمير عنهم العلوم والمعارف وساهموا في تكوين شخصيته وحسّه الثوري والنضالي كشخصية قيادية أصيلة جمع فيها بين أخلاق العالم وتصرفات البطل وسلوك زعيم الجماعة وشيخ الطريقة، فقد كان شديد التمسّك بعادات وتقاليد أسرته ومجتمعه.[3]

لم يكن الأمير رجل سياسي وقائد عسكري فحسب بل كان عالم وفقيه، ورجل صوفي متعمّق في علم التصوف وأشكاله وطرقه، فقد كان من أتباع الطريقة القادرية، وما يؤكد موسوعية فكر الأمير مؤلفاته التي شملت مجالات معرفية مختلفة، نذكر منها:

---

[1]– المرجع السابق: شارل هنري شرشل: **حياة الأمير عبد القادر** ، ص45.

[2]– نفسه: ص47

[3]– عبد الرزاق بن السبع: **الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه**، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، 2000، ص181.

1- ذكرى العاقل وتنبيه الغافل: رسالة ألّفها في بروسة بتركيا فيها الحث على النظر ونبذ التقليد وفضل العلماء، وفضل الكتابة واحتياج الناس إلى التصنيف.

2- المواقف الروحية والفيوضات السبوقية: وهو كتاب في التصوف نحا فيه نحو ابن عربي يقف عند آيات قرآنية ويفسرها تفسيراً رمزياً صوفيا رتّب علمه على اثنين وسبعين وثلاثمائة موقفا.

3- ديوان شعر: وفيه قصائد متنوعة مشتملة على الفخر والغزل والمساجلات والمناسبات والتصوف.

4- حسام الدين لقطع شبه المرتدين: وهو ردّ على من ركنوا إلى الكفار ودخلوا تحت ذمتهم في المناطق التي خضعت له.

5- المقراض الحاد القاطع في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد: وقد كتبه بفرنسا يرد فيه على من أدى أن غدر غير مستهجن في الإسلام وفيه إثبات للألوهية والنبوة ووجوب الوفاء والأمر به ونبذ الغدر والنهي عنه.

6- وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب: في قوانين وتنظيم الجيش تتضمن أربع وعشرين مادة وخاتمة.

7- رسالة في الحقائق الغيبية.[1]

3. الأمير عبد القادر: فكره وانجازاته.

إنّ الدارس المتعمّق لفكر الأمير عبد القادر ليجد بأن الرجل أسهم اسهامات لا مثيل لها خدمة لدينه ووطنه فقد تجاوز كل الظروف والمواقف ليؤسس لطريق آخر في المجتمع الجزائري يقوم على النضال والجهاد والتحرر والبناء والتشييد رافضاً السياسات الاستعمارية العدوانية ضدّ الجزائر وأهلها، ناقداً ومنتقداً كل الكتابات التي تنشر ثقافة الركون والسكون واليأس والكسل والخنوع والخضوع لأي سبب أو مبرر، فقد كان مؤمن بعدالة القضية

[1]- محمد بسكر: **أعلام الفكر الجزائري** ، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2015. ص227.

الجزائرية متأكدا من النصر. وإنّ تناول فكر الأمير ومواقفه أمر يحتاج إلى الكثير من الكتابة ولكن سنحاول الاختصار ونركّز على الأهم والأبرز منها:

1- إن تعمّق الأمير في علوم الدين والشريعة وانتهاجه النهج الصوفي جعله عالم مقتدر يفهم حقيقة الشريعة ومقاصدها وأولها إقامة الشرع أي الإسلام على عقيدة التوحيد ونشر قيمه ليستقيم حال المؤمن ومعه المجتمع المسلم، ومادام الشرع أصبح مهدد والأرض مستعمرة وبلغ الظلم ذروته وانتشر الباطل بفعل العدوان الفرنسي على أرض الجزائر فإنه كان لزاما على الأمير إعلان الجهاد في سبيل الله أي جهاد المستعمر وقتاله واخراجه من الأرض، وقد قاد الجهاد بنفسه عندما بايعته القبائل أميرا عليها ثقة به واعترافا بعلمه وفكره وثقافته، ومن بين ما ركّز عليه في مشروعه هذا تطبيق الشريعة الإسلامية والأخذ بالعدل والحق والتأسيس لحكم شوري يختلف عن حكم الأتراك وكذا الحرص على تحرير الأرض وبناء الفرد وتقويم المجتمع. [1]

2- أهم فكرة ركّز عليها الأمير عبد القادر هي فكرة بناء الدولة (بناء الجيش، بناء النظام السياسي، تنظيم الإدارة...الخ) فقد كان الأمير مؤمناً ايماناً راسخاً أن الثورة لن تنجح إلا إذا كان هناك جسم سياسي تستند إليه، من هنا سعى إلى توحيد القبائل والسكان الجزائريين شرقا وغربا تحت إمرته بمفهوم التحوّل للتنظيم والهيكلة وصياغة الأهداف والغايات، لتأتي بعد ذلك مقاطعات إدارية لدولة الأمير على أسس فيدرالية عيّن على رأس كل مقاطعة خليفة وهي ثمان مقاطعات: مقاطعة تلمسان، مقاطعة مليانة، مقاطعة معسكر، مقاطعة التيطري، مقاطعة مجانة، مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية، مقاطعة برج حمزة، مقاطعة الأغواط والصحراء الغربية.[2]

---

[1]- أديب حرب: **التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر ج1**، دار الرائد، ط2، 2004، ص87.

[2]- قاصري محمد السعيد: **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر 1830-1962م**، دار الإرشاد للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص17.

إنّ ذكاء ودهاء الأمير جعله يؤسس دولة عصرية بمقومات حداثية شعارها " نصر من الله وفتح قريب "، وقد اعتبرت دولة الأمير الأساس الذي قامت عليه الدولة الجزائرية فيما بعد.

3- بناء المساجد والمدارس والكتاتيب والاهتمام بالتربية والتعليم وفتح المجال لطلبة العلم للترحال والاستزادة من العلوم والاطلاع على التجارب النهضوية ومختلف الثقافات ايماناً منه بدور العلم في بناء المجتمعات وتقدّم الأمم، بل وكان اهتمامه المادي والمعنوي كبيراً بالعلماء والمشايخ والمدرّسين وطلاب العلم لقناعاته أن الإنسان الجزائري لكي ينهض وينتصر على المستعمر ويبني المستقبل يحتاج إلى العلم والفهم والعقل، ويروى عنه مرة أنه عفا عن شخص ارتكب جريمة كان محكوم عليه بالموت إلا لكونه طالب علم، فقد حاز الأمير شرف الإمارة ورجاحة الحكم وسداد الرأي وصفاء القلب.[1]

4- لم يكن الأمير عبد القادر رجل سياسي ومثقف ورجل دعوة عادي بل كان قائد عسكري متعلّم مدركاً لفنون وأساليب القتال والخطط والاستراتيجيات الحربية، وهذا ما جعلّه يؤسس جيشاً قوياً أحرز انتصارات عدة على المستعمر الفرنسي وفي معارك مختلفة جعلت المستعمر يعترف بولاية الأمير وبدولته وبسيادته على الكثير من المناطق خاصة في الغرب الجزائري فأبرم معه معاهدة التافنة التي نصت على بنود في صالح دولة الأمير والسكان الجزائريين، ولكن نقضت فرنسا هذه المعاهدة وأعلنت الحرب على الأمير وجيشه منتهجة سياسة الأرض المحروقة، والتي كانت من نتائجها القضاء على مقاومة الأمير ونفيه إلى دمشق سوريا التي توفي بها سنة 1883م. وقد قررت الدولة الجزائرية تشييد تمثالاً ضخماً للأمير عبد القادر بجبل مرجاجو ولاية وهران سيكون الأعلى عالميا بطول 42 متراً، رحم الله الرجل لما قدّمه في سبيل دينه ووطنه.

3. ملامح فكر الأمير عبد القادر:

يتميز فكر الأمير عبد القادر بخصائص عدّة نذكر منها:

[1]- مجموعة من المؤلفين: **أعلام الفكر الجزائري** ، الجزائر، ط1، 2022، ص142.

1- يعتبر الأمير عبد القادر رائد الفكر السياسي في الجزائر وفي العالم العربي والإسلامي، وحتى في العالم أجمع في العصر الحديث، لأنه فكّر في التأسيس السياسي والاجتماعي المنظم للمجتمع بمسمّى الدولة، وأن فلسفته السياسية قائمة على أسس مستوحاة من الشريعة الإسلامية، ومن القيم الوطنية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، كما كان لها غايات تسعى لتحقيقها وأولها وتقرير المصير وتحقيق الاستقلال، لذلك يؤكد الكثير من المؤرخين أن الأمير مفكر سياسي ملهم وقيادي مقتدر، يقول يوهان كارل بيرنت الألماني الذي أصبح فيما بعد من المقربين للأمير عبد القادر: " إنّ الأمير عبد القادر جمع بين الدهاء العربي والشجاعة الحربية والطموح ولكنه يتسم بالحلم والعدل على قدر ماتسمح به مواقفه وتطلعاته، وهو يحيا من الوجهة الدينية حياة ورعة متمسكاً بالعادات، ويؤكد سلوكه في كل مناسبة مدى تسامحه وخلوه التام من الأحكام المسبقة على من يخالفه في الرأي، كان يشعر في نفسه على مايظهر القدرة على أن يعيد للهلال من غلبة وعظمة، يعيش عيشة أكثر بساطة وتواضعاً من معيشة العربي لا يرتدي أبدا ألبسة مذهبة أو مفضضة." [1]، ومن هنا يمكننا أن نقول أن الفكر السياسي للأمير عبد القادر كان فكراً أصيلاً .

2- إنّ منهج الأمير عبد القادر منهج ديني قائم على التصوف وفق الطريقة القادرية وهو تصوف ايجابي بعث الروح في نفس الأمير ودفعه للنضال والجهاد بالدعوة إلى طاعة الله تعالى من خلال القيام بواجباته والامتناع عن نواهيه، لذلك كانت دعوته إلى اقامة شرع الله في القلوب والنفوس وفي الحياة والمعاملات، وإلى إصلاح الفرد والمجتمع، فقد كان رجل صوفي واع برسالة الدين ورسالة العلم والعالم، وفي المقابل يهاجم الأمير وينتقد بعض رجال الطرق الصوفية الذين شوّهوا الدين وعكسوا القيم والمفاهيم والحقائق وساندوا المستعمر، من هنا يؤكد أبو القاسم سعد الله أن رسالة الأمير عبد القادر وإصلاحاته أدت إلى ارتفاع الروح العامة في المجتمع.[2]

---

[1]- المختار حساني: **ثورة الأمير عبد القادر من خلال المخطوطات** ، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص19.

[2]- مرجع سابق: شارل هنري شرشل: **حياة الأمير عبد القادر** ، ص153.

ومن هنا يمكن القول أن فكر الأمير عبد القادر فكر إصلاحي قائم على الدين وفق منهج التصوف.

3- من بين أهم خصائص فكر الأمير عبد القادر أنه فكر جمع بين الجانب النظري والجانب العملي، إذ أن أفكاره في السياسة أو التصوف أو الإدارة أو العلم العسكري لم تبق نظرية فقط بل جسّدها على أرض الواقع وفق رؤية يحاكي فيها العقل الواقع، وهذا ما جعل الكثير من المؤرخين يعتبرون الأمير مثقف منظّر فهم مشكلات الواقع وأعدّ لها الحلول، وقائد ميداني بارع ذو استراتجية فريدة من نوعها في النضال والكفاح، يقول القائد سولت: " إنّ الأمير عبد القادر يستحق عن جدارة وتقدير لقب البطل العظيم. " [1]

4- لقد كان فكر الأمير عبد القادر فكراً محافظاً ولكنه في الوقت نفسه فكر تجديدي فقد أراد أن يتجاوز الكثير من الطابوهات، حيث كان يدعو إلى التجديد والنهضة من خلال الفلسفة والفكر العلمي، والاهتمام بالتربية والتعليم وطرائق التدريس الحديثة، لذلك استحق لقب المفكّر المجدّد لأبحاثه المختلفة التاريخية والفلسفية والدينية والكلامية والصوفية فهو قائد ثورة فكرية وسياسية قبل أن تكون عسكرية، لذلك اعتبره جورجي زيدان صاحب كتاب " بناة النهضة العربية " أن الأمير من القادة والساسة الكبار، بل كان أول شخصية تحدث عنه في كتابه هذا الأمير عبد القادر.[2]

الخاتمة.

نستنتج في الأخير أن الأمير عبد القادر مفكّر مبدع، وسياسي فذّ، ورجل عسكري مقتدر استطاع أن يتفاعل مع واقعه ايجاباً، ففهم الواقع وقدّم الحلول خدمة لقضايا وطنه وأهمّها النضال من أجل التحرر وتحقيق الاستقلال، لذلك تعتبر تضحياته ونضاله نموذجاً لكل المقاومين من أجل الحرية الرافضين للاستعمار والظلم والاستعباد.

---

[1]- مسعود مجاهد الجزائري: **تاريخ الجزائر ج1** ، مطابع دار الأيتام الاسلامية، 1969، ص149.

[2]- عمار طالبي: **ابن باديس حياته وآثاره ج1** ، الشركة الجزائرية الجزائر، ص 16.